حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به - العدد الاول - شهر رمضان - ١٤٣٢هـ / آيار - ٢٠١١م

١

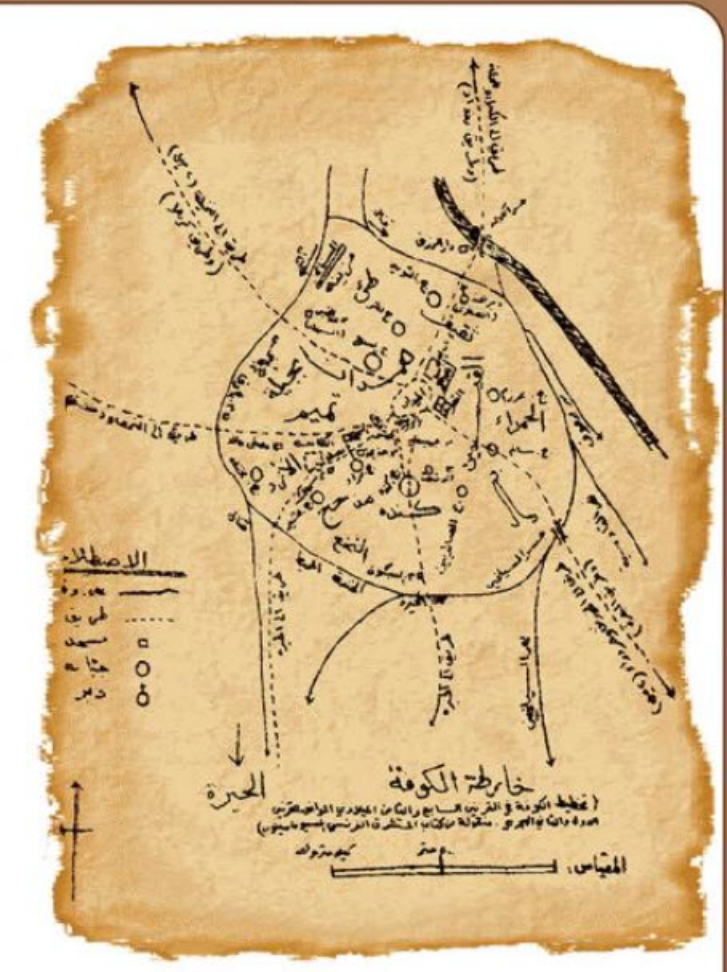

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد موسى تقي الخلخالي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

التّركيب الدّاخلي لمدينة الكوفة
دراسة في جغرافية المدن التّاريخية

الأستاذ الدّكتور صباح محمود محمد
عميد كلية التّربية- الجامعة المستنصرية

مقدمة:

تهدف الدّراسة إلى تحليل استعمالات الأرض landuse في مدينة الكوفة خلال فترة ازدهارها في التّاريخ العربي الإسلامي وبيان الشّكل الّذي اتخذه تركيبها الدّاخلي في ضوء العوامل المؤثرة في تحديد ذلك التّركيب.

لقد اختار سعد بن أبي وقاص موقعها عام ١٧هـ (٦٣٨م) كي تكون قاعدة عسكرية ينطلق منها لتحرير العراق ونشر الدّين الإسلامي. ولا تشير المصادر إلى وجود استقرار بشري أو قرية أو مدينة في مكانها. وقد نشأت المدينة في أرض سهلية على الجانب الغربي من نهر الفرات شمال شرق مدينة الحيرة المعروفة.

وعلى الرّغم من اختلاف المؤرخين والجغرافيين واللّغويين في معنى الكوفة إلاّ أننا نرجح أنّها سميت بذلك لاستدارتها[١].

وخلال الفترات اللاحقة لنشأتها، تطورت المدينة بشكل كبير بحيث لم تعد كونها قاعدة عسكرية للمجاهدين العرب المسلمين فحسب، بل أصبحت مركزاً تجارياً مهماً في المنطقة وسوقاً لتبادل المنتجات والسّلع الآتية من البادية ومن السّهل الرّسوبي، وقد وصلت أوج عظمتها في العصر الأموي فبلغت مساحتها ١٥كم طولاً و٩كم عرضاً[٢].

وقد ميز الدّكتور شاكر مصطفى مراحل تطور المدينة كما يلي[٣]:

الأوّلى: خلافة عمر بن الخطاب (١٧- ٢٣/ ٦٣٨- ٨٣٤).

الثّانية: ولاية زيادة بن أبيه. (٥٠- ٥٣/ ٦٧٠- ٦٧٢).

الثّالثة: ولاية خالد القسري أيّام هشام بن عبد الملك (١٠٥- ١٢٠/ ٧٢٣- ٧٣٧).

(١) د. كاظم الجنابي: تخطيط مدينة الكوفة عن المصادر التّاريخية والأثرية (خاصة في العصر الأموي)، بغداد ١٩٦٧، ص١١- ١٦.

(٢) شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، بغداد ١٩٨٢، ص٢٣٥.

(٣) د. شاكر مصطفى: المدن في الإسلام حتّى العصر العثماني، الكويت ١٩٨٨، ص٣٥٣.

إلاّ أنّ دورها وأهميتها قد اضمحل بعد أن بنى الحجاج بن يوسف الثّقفي مدينة واسط وظهور بغداد كعاصمة للدّولة الإسلامية بعدئذ، وعندما زارها الرّحالة العربي ابن جبير عام ٨٥٠هـ/ ١١٨٤م قال عنها: معظمها خراب[٤]. ومما لا شك فيه، فإنّ لتغير مجرى نهر الفرات والأحداث الّتي شهدتها الدّول العربية الإسلامية والصّراع على الخلافة، أثره الكبير في ازدهار وتدهور مدينة الكوفة، وعلى الرّغم من ذلك بقيت المدينة مصراً مهماً من أمصار العالم العربي الإسلامي.

العوامل المؤثرة في التّركيب الدّاخلي لمدينة الكوفة:

يتشكل التّركيب الدّاخلي لأي مدينة، بتأثير مجموعة من العوامل الطّبيعية، البشرية والاقتصادية والاجتماعية[٥]، ولا شك أنّ المدن العربية الّتي أنشأها المجاهدون المسلمون، تشترك في مجموعة من العوامل الّتي أثرت على مورفولوجيتها[٦]، مع أنّ لبعض المدن خصوصياتها في العوامل المؤثرة وفي شكلها أيضاً. ومن هذا المنطلق نجد أنّ التّركيب الدّاخلي لمدينة الكوفة يشترك مع المدن الإسلامية في بعض تلك العوامل المؤثرة وينفرد في أخرى، وتلك العوامل هي:

أولاً: العوامل الطّبيعية:

تشير المصادر التّاريخية إلى أنّ الأرض الّتي أقيمت عليها مدينة الكوفة كانت جزءً سهلياً من الضّفة اليمنى للفرات تتكون تربته من الرّمال مخلوطة بالحصباء[٧]، وكلّما اقتربت الأرض من نهر

(٤) ابن جبير: رحلة ابن جبير، القاهرة ١٩٥٥، ص١٩٨.

(٥) د. حسن الخياط: التّركيب الدّاخلي للمدن: دراسة في بعض الأسس الجغرافية لتخطيط المدن، مجلة الأستاذ، المجلد الثّاني، ١٩٦٣- ١٩٦٤، بغداد.

(٦) مصطفى الموسوي: العوامل التّاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية بغداد ١٩٨٢ ود. أحمد علي إسماعيل: المدن العربية والإسلامية، الكويت ١٩٨٧، ص١٠- ١٢.

(٧) الجنابي: تخطيط الكوفة، ص١٣- ١٤ ويشير إلى أنّ ارتفاعها عن سطح البحر ٢٢ متراً.

الفرات أصبحت رسوبية خصبة بسبب ترسبات النّهر أثناء الفيضانات. وتشير مصادر أخرى إلى أنّها: «سميت بكوفان وهو جبيل صغير فسهّلوه واختطوا عليه»[١] ويمكن أن يكون ذلك صحيحاً إذا علمنا أنّ المنطقة الّتي أنشأت فيها الكوفة، منطقة كثبان رملية، ومن المحتمل جداً أن سويت إحدى الكثبان الرّملية القريبة من نهر الفرات وخططت عليها مدينة الكوفة.

يتميز مناخ الكوفة بالصفاء والعذوبة، قال عنها ابن حوقل: مدينة الكوفة قريبة من مدينة البصرة في الكبر هواؤها أصح وماؤها أعذب[٢]، وقال محمّد بن عمير بن عطارد، «ولا كوفة سفلاً من الشّام ووبائها وارتفعت عن البصرة وعمقها، فهي مريئة مريعة، برية بحرية إذا أتتنا الشّمال هبت مسيرة شهر على مثل رضراض الكافور، وإذا هبت الجنوب جاءتنا بريح السّواد وياسمينه وخيريه وأترجه ماؤنا عذب، ومحتشنا خصب)[٣] وقال عنها اليعقوبي، وهي من أطيب البلدان وأفسحها وأغذاها وأوسعها»[٤].

الموارد المائية: تتوفر لمنطقة الكوفة موارد مائية تكفي لأعداد كبيرة من السّكان عن طريق جلب المياه من نهر الفرات بواسطة القنوات والجداول أو حفر الآبار، سواء لأغراض الشّرب أو الزّراعة وقد أشار إلى ذلك المقدسي بقوله: «والنّهر على طرفها من قبل بغداد ولهم آبار عذيبية حولها نخيل بساتين»[٥] ويشير البلاذري إلى نهر الجامع وبئر المعارك[٦].

وتحدث الشّابشتي في الدّيارات في وصفه لدير في الكوفة والبساتين الّتي تحي ببيوت الرّهبان في قوله: «وكانت الأنهار تجري في هذه البساتين»[٧] وأشار حمد الله المستوفي القزويني في نزهة القلوب إلى موارد المياه في الكوفة بقوله: «وماؤها من نهر النّاجية خارج من الفرات»[٨] كما تطرقت بعض المصادر التّاريخية والجغرافية إلى ذكر بعض الأنهار والعيون في منطقة الكوفة وهي[٩]:

نهر الكوفة بالجانب الغربي منها.

نهر أبا بين الكوفة وقصر ابن هبيرة.

نهر البردان كان منزل وبرة بن رومانس.

نهر البويب كان مجراه إلى موضع دار صالح بن علي بالكوفة ومصبه بالجوف العتيق وموقعه في الجنوب الشّرقي من الكوفة[١٠].

نهر الغدير عند ديارات الأساقف المحيطة بالكوفة.

نهر شبلي في ناحية من نواحي الكوفة.

نهر الصّنين بظاهر الكوفة وعليه مزارع.

نهر نرس مأخذه من الفرات عليه قرى عدّة في نواحي الكوفة.

نهر نشاسج.

نهر الفوار.

عين جمل.

عين صيد.

عين النّسوخ.

عين الرّهمية.

بئر علي[١١].

ثانياً: العوامل الدّينية:

تقف العوامل الدّينية في مقدمة العوامل المؤثرة في تركيب المدينة العربية، حيث اعتاد المجاهدون العرب عند إنشاء المدن في المناطق الّتي يتم تحريرها أن يباشروا ببناء الجامع أو المسجد أوّلاً في وسط المدينة[١٢] لأنّ المسجد هو مركز ترابط المجاهدين يتلاقون فيه للصلاة، وتبادل الرّأي ويقصدونه للوقوف على أخبار جماعتهم ويلتقون فيه مع رؤسائهم[١٣]، إضافة إلى اتخاذهم المساجد مقراً للتقاضي ومكاناً للتعليم والدّراسة، والتّجمع من أجل الانطلاق للقيام بعمليات التّحرر العسكرية[١٤].

وقد أمر الخليفة عمر ﷺ أن يكون المسجد الجامع في قلب المدينة وتكون دار الإمارة قريبة منه، ولهذا فقد اتخذ المسجد مكاناً مركزياً من المدينة تتفرع منه الشّوارع والطّرق نحو الأطراف[١٥] وفضلاً عن إنشاء المسجد الجامع فقد أنشأت كلّ قبيلة مسجداً لها في المنطقة الّتي تسكنها وكذلك المقابر الخاصة بها.

ثالثاً: العوامل العسكرية:

لقد لعبت العوامل العسكري دوراً أساسياً في اختيار موضع مدينة الكوفة كي يستقر بها المجاهدون العرب المسلمون بعد الانتصارات الّتي حققوها في حربهم ضد الفرس في جبهة المدائن، حيث كان هذا الاختيار يتفق مع توجيهات الخليفة الفاروق ﷺ للقائد سعد: «لا تجعل بيني وبينهم.. أي العرب- بحراً»، وقد أثرت هذه العوامل بدورها في التّركيب الدّاخلي للمدينة، بحيث تم تخطيطها وتوزيع القبائل فيها لاعتبارات عسكرية أيضاً، إضافة إلى حفر الخندق حول المسجد والصّحن عند تأسيسها، ثمّ حفر الخندق وبناء السّور حول المدينة في فترة الخليفة العبّاسي المنصور[١٦].

(١) حسين أحمد البراقي: تاريخ الكوفة، النّجف ١٩٧٠، ص١١٠.

(٢) المصدر السّابق، ص١١٤.

(٣) ابن الفقيه الهمداني: مختصر البلدان، ليدن ١٣٠٣هـ ص١٦٤.

(٤) اليعقوبي: البلدان، ليدن، ص٣٩.

(٥) المقدسي: أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن ١٩٠٦، أوفسيت المثنى، ص١١٧.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان، مصر ١٩٥٩، ص٢٨٤.

(٧) الشّابشتي: الدّيارات، بغداد ١٩٥١، ص١٧١.

(٨) البراقي: مصدر سبق ذكره، ص١٢٦.

(٩) المصدر السّابق، ص١٩٠- ١٩١.

(١٠) ل. ماسينيون: خطط الكوفة وشرح خريطتها، ترجمة ت. المصعبي، صيدا ١٩٣٩، ص١٨.

(١١) يشير ماسينيون إلى أنّه لم تكن في الكوفة آبار صالحة للشرب طيلة الأعوام المائة الأولى بل كانوا ينقلون الماء من شريعة الفرات، وبعد زمن حفروا بئراً فوجدوا ماءها صالحاً للشرب بـ (بئر علي) خطط الكوفة، المصدر السّابق، ص١٨.

(١٢) د. عبد الرّزاق عبّاس: نشأة مدن العراق وتطورها، بغداد ١٩٧٧، ص٤١.

(١٣) د. حسين مؤنس: المساجد، الكويت ١٩٨١، ص٣٤.

(١٤) المصدر السّابق، ص٣٥- ٣٧ ود. عبد الإله أبو عباش: المدينة العربية، الكويت ١٩٨٠، ص٣٢- ٣٣.

(١٥) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارة العربية الإسلامية في العراق ج١، بغداد ١٩٨٢، ص٥٧.

(١٦) د. عبد الجبار ناجي: دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، البصرة ١٩٨٦، ص١٦٠- ١٧١.

رابعاً: العوامل الاجتماعية:

إنّ العوامل الاجتماعية الّتي تؤثر في تركيب المدينة الدّاخلي كثيرة ومتشابكة[1]، إلاّ أنّ أبرز العوامل المؤثرة في مورفولوجية مدينة الكوفة، هي عامل التّكتل القبلي، حيث انقسمت الكوفة وقت إنشائها إلى سبعة أقسام قبلية، كلّ قبيلة نزلت في موقع خاص أو خطة خاصة ثمّ غيرها الخليفة علي، وأجرى بعض التنقلات بين القبائل، أمّا في إمارة زياد فصار تكتل الأقسام السّبعة أرباعاً[2].

خامساً: العوامل الاقتصادية:

ويظهر تأثير تلك العوامل في دور الكوفة التّجاري، حيث شكلت مركزاً تجارياً لتبادل البضائع والسّلع بين السّهل الرّسوبي والبادية، ولهذا فقد انتشرت فيها الأسواق الّتي تركزت أوّل الأمر شمال المسجد وفي شرقيه، وبنيت بشكل دكاكين منظمة في ولاية خالد القسري[3]، كما لا بد من الإشارة إلى وجود بعض الصّناعات الّتي تركزت في الكوفة كصناعة الوشي والخز وبشكل خاص العمائم والمناديل الكوفية المشهورة إضافة إلى شهرتها في صناعة السّيوف الحيرية الشّهيرة وأنصال الرّماح الّتي نشطت فيها كون المدينة أنشأت كقاعدة عسكرية أساساً للمجاهدين العرب المسلمين[4].

التّركيب الدّاخلي لمدينة الكوفة:

لقد تبلورت في جغرافية المدن مجموعة من النّظريات الّتي تفسر التّركيب الدّاخلي للمدن وتوزيع استعمالات الأرض داخل المدينة[5]، إلاّ أنّ جميع تلك النّظريات استنبطت من دراسات لمدن في أوروبا وأميركا، الّتي قد تتطابق بعض تفاصيلها ومفرداتها على المدن العربية والإسلامية، ومن غير المنطقي والعلمي أن تستعير تلك النّظريات والأفكار لتفسير واقع مختلف، له عناصره ومؤثراته وتركيبه، ألا وهو البيئة العربية الإسلامية، من هذا المنطلق سنشير إلى التّركيب الدّاخلي لمدينة الكوفة مع مقارنتها بتلك النّظريات في المواقع الأوروبية والأمريكية لغرض التّوضيح والتّبسيط

ومن أجل رسم صورة التّركيب الدّاخلي لمدينة الكوفة، كان لا بد من الرّجوع إلى المصادر القديمة الّتي كتبت عن الكوفة والّتي يبدو أنّها مفقودة وهي[6]:

كتاب لابن فضال (.. نحو ٢٩٠هـ)[7].

كتاب لابن مجالد (أواخر القرن الثّالث).

كتاب لابن النّجار التّميمي (٣٠٣- ٤٠٢هـ)[8].

كتباً للعلوي الحسيني (توفي سنة ٤٤٥هـ).

كتاب لابن النّجار البغدادي (توفي سنة ٦٤٣هـ).

كتاب للنّجاشي «كتاب الكوفة» وما فيها من الآثار والفضل.

كتاب لجعفر بن الحسن بن شهريار المتوفى سنة ٣٤٠هـ «كتاب في المزار وفضل الكوفة ومساجدها».

ولهذا فقد استعنا بالمصادر الجغرافية والتّاريخية ككتب البلدان والممالك والمعاجم والخطط لجمع ما ذكر عن الكوفة والّذي يبدو أنّ لويس ماسينيون قد استعان بها في كتاب خطط الكوفة الّذي اعتمدت عليه الكتب الّتي تم تأليفها فيما بعد عن مدينة الكوفة كما يعد كتاب تاريخ الكوفة للمؤرخ حسين بن أحمد البراقي النّجفي المتوفى سنة ١٣٢٢هـ[9] من الكتب الحديثة الّتي جمعت كلّ شيء عن الكوفة من المصادر القديمة أو الّتي عاصرت المؤلف واضعيها، إلاّ أنّه لا بد من الإشارة إلى أننا اتخذنا من خارطة الكوفة الّتي أعدها ماسنيون أساساً لرسم خارطة التّركيب الدّاخلي لمدينة الكوفة مع إضافات لنا من خلال تدقيقنا في المصادر والمعاجم.

إنّ صورة التّركيب الدّاخلي لمدينة الكوفة تظهر على الشّكل التّالي (انظر الخارطة):

منطقة الأعمال المركزية CBD: تتوزع استعمالات الأرض في مركز مدينة الكوفة كما يأتي:

أوّلاً: استعمالات الأرض الدّينية: والّتي تتمثل بوجود المسجد الجامع، الّذي كان إنشاؤه توجيهاً وأمراً من الخليفة الفاروق، حيث تتجمع القبائل لصلاة الجمعة والأعياد والتّوجه للجهاد[10]، إنّ القضايا المتعلقة بالمسجد هي[11]:

المسجد مربع الشّكل: كان يتسع لأربعين ألف مقاتل ثمّ وسعه المغيرة وزياد بن أبيه ليتسع إلى ٦٠ ألف مقاتل[12].

كانت ظلة المسجد (بيت الصّلاة) مائتي ذراع (١٠٠م) أقيمت على أعمدة من الرّخام.

تم حفر خندق حول الصّحن.

أضاف إليه زياد مقصورة جددها خالد القسري.

بني المسجد أوّلاً من اللبن والقصب وأشار البلاذري إلاّ أنّ المسجد قد بني من بعض أنقاض وحجارة المناذرة في الحيرة[13].

كسى زياد ابن أبيه أرض المسجد بالحصى كما سقفه وجعل له مجنبات ومؤخرة.

---

(١) H. Carter: the study of urban Geography Lindo ١٩٧٦ ١٧١- ٢٩٣ pp.

(٢) د. الجنابي تخطيط مدينة الكوفة، ص٥٩، ماسينيون، خطط الكوفة، ص١٠.

(٣) الطّبري ج٥، ص٢٥٨ واليعقوبي، البلدان، ص٣١١.

(٤) د. محمّد حسن الزّبيدي: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأوّل الهجري، القاهرة ١٩٧٠، ص١٩١- ١٩٨.

(٥) انظر تفصيل ذلك في:

L. S. Bourne: Interbal structure of the city, N. Y. ١٩٧١.

J. R. Short: An Introduction to urban Geography. London, ١٩٨٤. Pp. ٩٥ - ١٩٧.

(٦) د. شاكر مصطفى، المصدر نفسه ج١، ص٤٠، البراقي، تاريخ الكوفة ص١٢.

(٧) الزركلي: الأعلام، ج٥، ص٧٩.

(٨) المصدر نفسه، ج٦، ص٢٩٨.

(٩) حسن بن أحمد البراقي: تاريخ الكوفة، حرره السّيد محمّد بحر العلوم، ط٢، ١٩٦٠، المطبعة الحيدرية في النّجف وله كتاب آخر سماه البقعة البهية، مختصر في تاريخ الكوفة الزّكية.

(١٠) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٢، ص٩٤.

(١١) انظر: د. عيسى سلمان وآخرون، ص٥٨- ٦٣، ياقوت الحموي ج٤، ص٤٩١، د. عبد الجبار ناجي، ص١٦١.

(١٢) يقول ياقوت: قيل كان مسجد الكوفة هو تسعة أجربة تخطيط الكوفة، ص١١٣.

(١٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٨٤.

هدّه الحجاج بن يوسف الثّقفي وأعاد بناءه مجدداً.

ثانياً: استعمالات الأرض الإدارية: الّتي تتمثل بدار الإمام المجاور للمسجد الجامع في الجهة الجنوبية منه مع انحراف قليل نحو الشّرق، تم بناء دار الإمارة من الآجر المجلوب من الحيرة[١] ويقال إنّ قياسات الطّابوق موحدة وغير منقولة من أبنية سابقة[٢].

كان دار الإمارة مربع الشّكل، تغور قواعد الجدران ٩٠سم في الأرض ودعمت الجدران بأبراج عددها (٢٠) برجاً.

لقد كان دار الإمارة مقراً للقائد المجاهد سعد ومن بعده للخلفاء والأمراء والولاة.

ثالثاً: استعمالات الأرض المالية: وتتمثل ببيت المال الّذي كان يفصله عن المسجد ودار الإمارة طريق طوله (١٠٠) ذراع، وبعد أن سرق أشار الخليفة عمر على سعد بأن ينقله إلى جوار الدّار وفي قول آخر داخله[٣]، وفضلاً عن وجود بيت المال في المنطقة المركزية من المدينة فإنّ هناك مجالات للصيرفة يسير ماسينيون إلى موقعها بالقرب من المسجد الجامع في جهة القبلة (الجنوب)[٤].

رابعاً: استعمالات الأرض التّجارية: وهي الأراضي الّتي تحتلها الأسواق وتمتد من مركز المدينة حيث المسجد الجامع باتجاه الشّمال الشّرقي وباتجاه الجنوب الغربي، ولم تكن للأرض الّتي تحتلها الأسواق أسواراً أو حدوداً معينة وإنّما كانت أرضاً مفتوحة، ثمّ وضعت لها سقوفاً من الحصر، ثمّ بنيت أيّام خالد القسري الّذي صنف الأسواق حسب نوع السّلعة[٥]، وقد اصطلح على الأسواق الّتي تمثل جزءً من مركز المدينة تسمية «السّوق الجامعة» حيث تعرض أفضل أنواع السّلع والبضائع[٦].

خامساً: استعمالات الأرض السّكنية: اختلف المؤرخون في عدد سكان الكوفة وقت إنشائها فهناك من يقدرهم بمائة ألف وهناك من يقدرهم بعشرين ألف، وقد بنى السّكان دورهم خلال السّنوات الخمس الأولى من القصب والخيام ثمّ شيدت بعدئذ من الآجر[٧].

لقد توزع السّكان حسب القبائل إلى سبع مناطق عسكرية سميت الأسباع، ولما لم يكن للمدينة سور فقد ترك للسكان أن ينزحوا في المناطق الخالية إلى أن أحيطت في عهد المنصور بسور وخندق.

وتشير المصادر إلى أنّ عدد المساكن في الكوفة في العصر الأموي قد بلغ (٥٠) ألف مسكن للعرب من ربيعة ومصر و(٢٤) ألف مسكن لسائر العرب و(٦) آلاف مسكن لأهل اليمن[٨].

هذا ولا بد من الإشارة إلى أنّ منازل الصّحابة والأمراء والقواد كانت تتركز حول المسجد، ودار الإمارة وهي قطائع خاصة أقطعها الخليفة عمر ﷺ لأصحاب رسول الله ﷺ وبعض الأمراء وقادة الجند.

سادساً: استعمالات الأرض الدّينية: وتتمثل بالأراضي الّتي شيدت عليها المساجد والمقابر (الجبانات) في المناطق الّتي سكنتها القبائل حيث خصص لكلّ قبيلة مسجد وجبانة[٩] وقد ذكرت المصادر التّاريخية حوالي (٢٧) مسجداً[١٠] بينما ذكر ماسينيون (١٠) جبانات إضافة إلى الأراضي الواسعة الّتي كانت تدعى «الصّحارى» الّتي شكل قسم منها جبانات للقبائل أيضاً[١١]، كما لا بد من الإشارة إلى وجود بيع وأديرة لأهل الذّمة[١٢].

سابعاً: استعمالات الأرض الصّناعية: لقد ذكرت المصادر التّاريخية صناعات كثيرة اشتهرت بها مدينة الكوفة وهي: النّسيج، الحدادة، الأسلحة، النّجارة، الخزف، الدّهون، الصّياغة، الصّابون، والنّبيذ، إلاّ أننا لم نجد إلاّ إشارات نادرة عن مواقعها في المدينة وهي:

محلات الصّياغة بالقرب من المسجد الجامع في جهة الجامع.

أصحاب الخز والقصارون في أطراف دار الوليد قرب المسجد الجامع.

سوق الحدادين في غربي المدينة.

ثامناً: استعمالات الأرض لأغراض النّقل: تشير المصادر لهذه الأراضي على الشّكل التّالي:

المناهج: وهي الخطوط الفاصلة بين صفوف خيام القبائل وتقسم إلى:

مناهج رئيسية: وهي بمثابة طرق رئيسية بين صفوف خيام القبائل وكل واحد منها بـ (٤٠) ذراعاً، وقد تم تخطيط (١٥) منهجاً عند إنشار المدينة.

مناهج فرعية: وهي دون الأولى ولكنها تلاقيها من أطراف مختلفة وكل واحد منها بـ (٢٠) ذراعاً[١٣].

السكك: وهي الطّرق الّتي تم تخطيطها بعرض (٥٠) ذراعاً للسكة الواحدة[١٤]، وكانت تتخللها بعض الأزقة والدّروب ويشير الطّبري إلى أنّ بعض هذه الطّرق تنار في الليل بالمشاعل.

تاسعاً: استعمالات أخرى: تكشف المصادر عن استعمالات أخرى وهي:

الحمامات والسّقايات كانت بالقرب من الجوف العتيق قرب المسجد الجامع[١٥].

---

(١) Creswell; Early Muslim Architecture, London, ١٩٣٢. Vol. p. ١٦.

(٢) د. عيسى سلمان، مصدر سبق ذكره، ص٥٦.

(٣) ماسينيون، ص٢٨.

(٤) ماسينيون، ص٢٦.

(٥) اليعقوبي: البلدان، ص٧١.

(٦) د. حمدان الكبيسي: أصالة أنظمة الأسواق في المدينة كتاب أنظمة المدينة العربية، مركز إحياء التّراث العلمي ١٩٩١، ص٧٥- ٨٨.

(٧) ماسينيون، ص٩.

(٨) الجنابي، تخطيط الكوفة، ص٨٤.

(٩) اليعقوبي، البلدان، ص٣١١.

(١٠) المصدر نفسه، ص٨٧- ٨٨.

(١١) ماسينيون، ص١٩، د. الزّبيدي الحياة الاجتماعية.

(١٢) د. صالح أحمد العلي: منطقة الكوفة دراسة طبوغرافية المصادر الأدبية، مجلة سومر، المجلد ٢١، ١٩٦٥، ٢٤٢.

(١٣) ماسينيون، ص١٧، الجنابي، ص٧٥- ٨٠.

(١٤) اليعقوبي، البلدان، ص١٧.

(١٥) ماسينيون، ص١٨، البلاذري، فتوح البلدان ص

أراضي خالية تسمى الصّحارى بين الأحياء السّكنية تستخدم لأغراض مختلفة، كعقد الاجتماعات وتجمع المجاهدين وانعقاد بعض الأسواق[١].

أراضي اتخذت كمناطق لرمي القمامة[٢] وكانت تسمى الكناسة عند المدخل الغربي لمدينة الكوفة ثمّ صارت محلة أو سوقاً أو محطة تجارية[٣].

مراكز ترفيهية ممثلة ببعض الدّور كدار ابن أمين الّذي يشير إليه الأصفهاني في أغانيه من أنّ له منزلاً في الكوفة وله جوار ومغنيات أشهرهن سلامة الزّرقاء وكان يغشاها الفتيان بكثرة للسماع والشّرب[٤].

حلبات الخيل: تشير المصادر إلى أنّ ابن سبيرة أقام حلبة لسباق الخيل في الكوفة وقد شغف أهل الكوفة بالمراهنة عليها[٥].

المتنزهات: يشير ماسينيون إلى أنّ حدائق أديرة الكوفة الواسعة أصبحت متنزهات لأهل الكوفة[٦].

السّجون: يشير ماسينيون إلى وجود سجنين في الكوفة أحدهما قرب الكناسة في المدخل الغربي للمدينة[٧].

الخلاصة:

من دراسة التّركيب الدّاخلي لمدينة الكوفة تبرز لنا مجموعة من الحقائق المهمة يمكن تأشيرها كما يأتي:

استند العرب في إنشائهم للمدن إلى أسس تخطيطية كانت وما زالت تشكل مبادئ وأسس أساسية في تخطيط المدن، وفي مقدمتها مراعاة الظّروف الجغرافية الطّبيعية (الموضع والموقع) ومدى مستلزمات وإمكانيات إقامة المستوطنات البشرية.

كانت للعوامل العسكرية، في التّواصل مع مركز الدّولة في المدينة للحصول على الإمدادات وعدم جعل المواقع الطّبيعية كالبحار والأنهار وغيرها في ظهرهم لتمنعهم من الاتصال مع مركز الدّولة أو التّراجع لتنظيم الصّفوف مرّة ثانية والاحتشاد في الاستيطان لمواجهة الظّروف الطّارئة والدّفاع بكفاءة عالية، لقد كانت تلك العوامل تلعب دوراً أساسياً في تخطيط المدن وإنشائها.

لقد عمل العرب على أن تكون خطط المدن الّتي أنشأها دائرية الشّكل منطلقين من أن الاحتشاد والالتفاف حول مركز القيادة يعطيهم كفاءة عالية في الدّفاع.

اتخذ التّركيب الدّاخلي للمدن العربية شكلاً هو أقرب إلى نظرية الدّوائر المشتركة- المركز حيث يشكل المسجد الجامع وقصر الإمارة وبيت المال والسّوق الجامع الدّائرة الأولى، ثمّ تتوزع استعمالات الأرض منطلقة منها نحو الأطراف مشكلة الدّائرة الثّانية.

* * *

(١) البراقي، تاريخ الكوفة، ص١٤٤.

(٢) البراقي، ص١١٨.

(٣) الزّبيدي: الحياة الاجتماعية ص٣٢.

(٤) الأصفهاني: الأغاني ج١٣، ص١٢٧.

(٥) الزّبيدي: الحياة الاجتماعية، ص١٣٨.

(٦) ماسينيون، ص٢٦.

(٧) المصدر نفسه، ص٢٨.